الفصل الرابع

دور التربية الفنية في إثراء التعبير الفني في مجال النحت .

- التربية الفنية :
  - مفهومها .
  - (أثرها في التعبير الفني – الموضوع المتناول) .
- الأعمال النحتية في الهواء الطلق وأثرها في تنمية التعبير الفني .
- البيئة المصرية وأثرها على صياغة العمل النحتى .
- أثر البيئة على الأعمال النحتية في الهواء الطلق فى مدينة أسوان .

تمهيد :

التربية الفنية كمادة تعليمية وتربوية وتثقيفية تلعب دورا هاما فى تنمية التعبير الفني و التذوق لدى الناشئة منذ مراحل عمرهم الأولى ،وهى مسئولة عن خلق أجيال قادرة على ربط حياتهم بالقيم الجمالية بالإضافة إلى أنها تسعى إلى خلق شكل جديد من النشاط يكون الفرد فيه متمكنا من الخلق والإبداع الفني ،قادرا على الاستمتاع و التعبير و الإحساس عن الجمال وبه ،من خلال الطرق التربوية السليمة .

لذا فالتربية الفنية تعمل على تربية وتثقيف الأجيال وتنمية التعبير الفني ،وإكسابهم السلوك الجمالي ،وتحرص على زيادة الوعي لديهم لإدراك العلاقات الفنية و القيم الجمالية من حولهم فى الطبيعة والفن وفى كل ما يتعاملون معه وبه،وهى مسئولية تربوية لا يجب أن تقتصر على المؤسسات التعليمية وحدها ولكن بمشاركة الأسرة و المجتمع بكافة مؤسساته و المؤثرة في تنشئة الأطفال من خلال الطرق التربوية السليمة ،والوسائل المتنوعة و الأساليب المتطورة ، وعن طريق التدريب وإكساب المعلومات و الممارسة ،ومن خلال التوجيه و البحث والاكتشاف وإتاحة الفرصة للأطفال منذ الصغر للتجريب و التعرف على الفنانين و الأساليب الفنية و مدارس الفن ، وتقنيات الأداء المختلفة ،وأيضا من خلال التدريب على نقد الأعمال الفنية بعد فهمها للوصول إلى المعايير الجمالية .

فالتربية الفنية ليست مجرد تعليم طرق الرسم و النحت وغيره من المجالات فحسب ولكن وجدت لغرس حب الجمال و الأخلاق الحسنة و السلوك الجمالي و الإحساس بالجمال وتقديره و السعي إليه وتنمية الوعي الجمالي لدى الأطفال ،بجانب الدور الهام لها وهو حرية التعبير عن المشاعر و الأحاسيس فى أطار من التوجيه و التدريب لإنتاج أعمال فنية تحمل سمات مبدعيها وسمات العصر و البيئة المحيطة .

وهذا ما أكده نبيل الحسيني عندما أشار إلى أن " التربية الفنية ميدان غنى بمادته ومصادر معلوماته إذا أحسنا الاستفادة منه حيث يتم

المعرفة في الفن وكذلك المعرفة عنه ، ويكون دور التربية الفنية حينئذ هو تعليم الإنسان عن طريق الخبرة ،وتكتسب هذه الخبرة بتفاعله مع البيئة ،وتلك الخبرة تتكون من عادات ومهارات واتجاهات و معلومات وهى تتميز عن غيرها بطابعها الجمالي " [1] .

ويؤكد ذلك محمود البسيونى فى أن " التربية الفنية ترتكز أساسا على النمو التعبيري الإبداعي و النمو الجمالي لدى الأفراد بحيث ينعكس هذا النوع من النمو فى سلوكهم حينما يعبرون و حينما يصدرون قراراتهم في الاختيار و التفضيل للصيغ التشكيلية فى كل ما يحيط بهم ويخضع لمقومات الجمال والإبداع الفني "[٢] .

أما فيما يختص بمناهج التربية الفنية الحديثة و التي أعدت خصيصا لتلاءم التطور الهائل فى مفهوم التربية الفنية الحديثة ، والتي اهتمت بتصميم برامج وإيجاد مداخل تساعد على تنمية قدرة الطلاب على التعبير الفني و على التذوق الفني والجمالي وذلك عن طريق الإدراك و الخبرة المتسامية فى الفن مع التركيز على الإنتاج الفني ،كما اتجهت تلك البحوث إلى تنمية التذوق الجمالي عن طريق تأمل وملاحظة الطبيعة وإدراك نظمها الإنشائية و المرئية وتمييز الفروق بين أشكال عناصرها وعلاقاتها ، كما اتجهت أيضا إلى استخدام الأعمال التراثية و المتحفية كمدخل يساعد على تنمية التعبير الفني و التذوق الجمالي ،وذلك بفضل تنوع أشكالها وسعة فتراتها التاريخية ،وثراء أساليبها ،واختلاف طرائق بنائها التشكيلية ،وتعدد موضوعاتها من الوجهة الجمالية .كما اهتمت هذه البحوث أيضا بدراسة الأنشطة التعليمية التي ينمى من خلالها الطلاب مهارات إدراك ومناقشة الصفات المرئية التي يعتقد أنها تشكل محور الخبرة الجمالية وذلك عن طريق استخدام

---

(١)- نبيل الحسينى :" **اتجاه غير تقليدى فى تعليم الفنون** " ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٨١، ص ١٣٧.

(٢) محمود البسيونى :" **الفن والتربية والأسس السيكولوجية لفهم الفن وأصول تدريسه** "، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،١٩٨٤، ص ٢٢٧.

الألعاب وتشكيل الأدوار لاكتشاف الموضوعات الجمالية التى تصلح للعبير الفنى .

وقد كان الهدف من تدريس التربية الفنية فى تلك الدراسات هو تنمية التعبير الفني وتنمية قدرة الطلاب على فهم وتذوق الفن من خلال برامج تشتمل على المصطلحات الفنية و الطرق المستخدمة لوصف ونقد الصفات الجمالية للأعمال الفنية ، مما ينمى الوعي الفني لدى الطلاب وبالتالي تنمية التعبير الفني من خلال تعويد الطلاب على كيفية إدراك الجمال فى الفن وفى الطبيعة ،وأثر ذلك على إثراء رؤيتهم وخبرتهم البصرية وقدرتهم على بناء خبرات حسية متنوعة ومتفاعلة ، وترجمتها إلى صياغات فنية ،وكذلك تنمية قدراتهم على فهم وتذوق التراث وقيمه الجمالية وفهم الدور الإجتماعى الذي يؤديه الفن فى المجتمع ، والسعي نحو إكساب الطلاب المهارات العملية و المعرفية و الإدراكية ،بالإضافة إلى مناقشة القيم الجمالية المختلفة عن طريق تحليلها وتفسيرها بشيء من التفصيل كي يتمكن الطلاب من التعبير الفني عن آرائهم حول الطبيعة و الفن ومعناه وأثره في الحياة .

أي أننا نهدف من خلال التربية الفنية الحديثة إلى " تنمية استجابة الفرد للمثيرات الجمالية بل و استكشاف الجمال و التحرك نحوه وخاصة في بيئته " [1] وهذه المثيرات الجمالية عامل فعال في إثارة التعبير الفني وتنميته والوصول به إلى الإبداع الفني .

- وعلى هذا فأن مفهوم التربية الفنية : تعنى التربية عن طريق الفن ،وهى بذلك تشمل مضمونين متداخلين ومتلازمين هما المضمون التربوي كغاية و المضمون الفني كوسيلة .
- فإذا كانت التربية تعنى النمو الشامل لجوانب الشخصية الإنسانية العقلية و الوجدانية و المهارية ،فإن هذه التنمية تكون عن طريق الفن ،كنشاط تعبيري ابتكاري استمتاعي هادف .

---

[1]ـ محمود البسيونى : أصول التربية الفنية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٩ .

- و التربية الفنية على هذا النحو تسعى فى استغلال الجانب العقلي للطلاب فى التفكير فى حل المشكلات الفنية وابتكار حلول لها و المعاناة فى الاستجابات الانفعالية لمثيرات الموضوعات و الخامات ،وكذلك في الاستمتاع فى إيجاد وابتكار الصيغ و الحلول التشكيلية سواء كانت تكوينية أو لونية أو خطية أو غيرها .
- كذلك تعنى التربية الفنية أنها عملية قصدية لتنمية وتوظيف السلوك الإنساني جماليا عن طريق اكتساب وتنمية التفكير البصري و الخبرة البصرية ومدخلاتها الثقافية و الاجتماعية و النفسية و الحضارية فى ضوء مفاهيم الحياة المعاصرة ومتغيراتها وذلك وصولا للارتقاء بالسلوك الإنساني على نحو حضاري .

بعد الوقوف على مفهوم التربية الفنية الحديثة بمفهومها الشامل ، يرى الباحث أنه لابد من توضيح دور التربية الفنية "بصفة عامة " فى إثراء التعبير الفني للطلاب من خلال مفهومها الحديث و الشامل ،ثم كيف تلعب الأعمال النحتية في الهواء الطلق" بوصف النحت أحد وأهم فروع التربية الفنية " دروا في إثراء التعبير الفني للطلاب .

دور التربية الفنية فى إثراء التعبير الفني :

أن التربية الفنية تعد الخبرة الشاملة فى تنمية الشخصية لدى الطلاب ، فهي تنمى الإحساس ، و الفكر و الذكاء ،وتمكن المتعلم من التعبير عن مشاعره وتجسيدها ليراها الآخرون ،فيتحسسونها ويدركونها ، وينفعلون بها ،ويتحفزون فى سلوكهم نحو تحقيق ما تدعو إليه .

و التعبير الفني سلوك يمارس من قبل الطلاب ، والسلوك الأنسانى يقصد به أي نشاط يصدر من الكائن الحي نتيجة لعلاقة دينامية وتفاعل بينه و بين البيئة المحيطة و السلوك يمكن اعتباره استجابة أو استجابات لمثيرات معينة .

" أما التعبير الفني فهو سلوك خاص فى مجال الفن يتصف بالتنوع و المرونة بمعنى أنه يظهر فى صور متعددة ومتنوعة لكي يتواءم مع المواقف التي يعيشها الفنان (أو ممارس الفن) ،وإذا كان السلوك عامة هو عبارة عن نشاطات الإنسان فى حياته فإن عمله فى مجال الفن هو جزء من هذه النشاطات أو جزء من سلوكه العام ونابع من طبيعته كإنسان .كما أن فهم ودراسة السلوك الفني للفنان أو ممارس الفن عامل مهم فى فهم أسلوبه فى تأدية أعماله وهذا يساعد على توجيه سلوكه الوجهة الصحيحة لتحقيق أهداف تدريس الفن "[1] .

" كما يقصد بالتعبير الفني : أن يتنفس الطالب عما فى نفسه بأسلوبه الخاص وأن يترجم أحاسيسه الذاتية دون ضغوط أو تسلط فى إطار المحافظة على نمطه و شخصيته وطبيعته ، فيعبر عن الأشكال و القيم الجمالية ، ومن خلال هذا التعبير تنمو خبراته وتتطور مشاعره وتتبلور أخيلته ،كما تتفتح ميوله ،وتتحدد اهتماماته وتظهر اتجاهاته "[٢] .

وأثناء هذا التعبير يستخدم الطلاب مجموعة من الخامات يتعرفون على خصائصها ،فيتمكن من السيطرة عليها ، وأثناء هذه الممارسة يعتمد الطالب على نفسه وبمعاونة أساتذته فى إدراك الحقائق المحيطة به ويحاول صياغتها ،وإخضاعها بحرية فى صور منظمة ذات علاقات جمالية ووحدة مشتركة ليصل إلى المنتج النهائي (العمل الفني).

ويمكن للطالب أن يكتسب التعبير الفني من المعلم عن طريق تزويده و تبصيره بالقواعد العامة و التقنيات ، مع إتاحة الفرصة للطالب الناشئ التعبير عن ذاته ، وتحقيق فرديته فيما ينتج من عمل فني .

بعد أن وضح البحث مفهوم التعبير الفني ، يبقى السؤال :كيف يمكن للتربية الفنية بصفة عامة أن تؤثر فى التعبير الفني :

---

[1]ـ مصطفى محمد عبد العزيز :" **سيكولوجية فنون المراهق** " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الرابعة ،٢٠٠٣، ص ٣٠.

[٢] ـ مصطفى محمد عبد العزيز : **" سيكولوجية التعبير الفنى عند الأطفال "**، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ٢٦.

وقد توصل الباحث للإجابة على هذا التساؤل في عدة نقاط وهى :

- بما أن مقررات التربية الفنية ومجالاتها تهدف لتنمية وتوظيف السلوك الإنساني جماليا عن طريق اكتساب وتنمية التفكير البصري و الخبرة البصرية ومدخلاتها الثقافية و الاجتماعية فبالتالي لابد وأن تكون موضوعات التعبير الفني (سواء التعبير الفني المسطح أو المجسم) ، تخدم تلك الأهداف فى إطار منظم وتحت إشراف من القائمين بتدريس التربية الفنية .
- الموضوعات المراد التعبير عنها فنيا فى مجال التربية الفنية لابد وأن تسعى لاستغلال الجانب العقلي للطلاب فى التفكير فى حل المشكلات الفنية وابتكار حلول لها و المعاناة فى الاستجابات الانفعالية لمثيرات الموضوعات و الخامات ،وكذلك فى الاستمتاع فى إيجاد وابتكار الصيغ و الحلول التشكيلية سواء كانت تكوينية أو لونية أو خطية أو غيرها وإذا طبق ذلك بشكل جيد يؤدى بدوره لتنمية التعبير الفني ويرتقى به.
- التربية الفنية من أهم أهدافها اكتشاف الجمال فى الفن و الطبيعة ، وعليه تلعب دورا فى إبراز جماليات البيئة المحيطة بالطالب ،وبالتالي يمكن الاستفادة من هذا فى موضوعات فنية قائمة على جماليات البيئة تبرز بها القيم التشكيلية و الفنية و الجمالية ،وبذلك ينمو التعبير الفني لدى الطلاب .

الأعمال النحتية في الهواء الطلق وأثرها فى تنمية التعبير الفني :

يعد فن النحت أحد وأهم مجالات التربية الفنية التي يمكن للطلاب التعبير عنه فنيا ،وبالتالي فالنحت في التربية الفنية يعد مادة تعليمية وتربوية وتثقيفية يلعب دورا هاما فى تنمية التعبير الفني و التذوق الجمالي ،وذلك من خلال تنمية استجابة الطالب للمثيرات الفنية و الجمالية بل واكتشاف الجمال سواء جمال الطبيعة أو جمال الفن فى

البيئة المحيطة به ، ويستمتع به ويقدره ويحرص على إبرازه فى تعبيراته الفنية النحتية .

وتتدرج التعبيرات الفنية في مجال النحت في التربية الفنية تبعا للمراحل الدراسية للطلاب ، ففي المراحل الأولى تكون معظم التعبيرات ذاتية ثم تصل إلى التعبير الواقعي نتيجة لنمو الإدراك البصري للأشكال وفهم طبيعتها وأحجامها وتفاصيلها ،ويبدأ الاهتمام بالنسب و المنظور و الملامس و الظل و النور ،وتكون لحاسة البصر الأهمية الكبرى من بين الحواس الأخرى والتي تقود إلى اكتشاف العالم المحيط به وتأمله ،ومحاولة التعبير عنه فنيا.

ولذا فعلى القائمين بتدريس النحت فى كليات التربية الفنية مراعاة التوجيه السليم للطلاب نحو الإدراك البصري الفني ،وتنمية الشعور و الإحساس الجمالي والفني لدى الطلاب لمساعدتهم على البحث عن مظاهر ومعالم ومواطن الحسن و الجمال فى عالم الطلاب المحيط بهم. فيجب عليهم توفير المواقف التعليمية و التدريبية التي تساعد الطلاب على تنمية إدراكهم للجمال وقيمته في الأعمال الفنية التراثية و العالمية ،وفى البيئة من حولهم عن طريق الرؤية الفنية القائمة على المعلومات و التأمل و الشرح و التفسير و التحليل للعناصر و الأشكال المتوفرة فيهما ،وفهم العلاقات التشكيلية و الجمالية للوصول إلى استيعاب القيم الجمالية والتي يقصد بها " إحساس الفرد بالجوانب الجمالية فى البيئة من خلال ما يدركه فى مجال رؤيته ، وعن طريق ملاحظاته للعناصر المتنوعة وتكرارها وتشابهها ووحدة هذا التنوع والتي تميزه عن العناصر الأخرى فى الشكل والحجم و الملمس و اللون "[1] ، والقدرة على استخلاص القيم الفنية و الجمالية من تأمل الطبيعة أمر هام فى فهم القوانين التي تحكم عناصر الطبيعة وتكسبها جمالها الذاتي ، وأن إدراك

---

[1]ـ ماجدة خلف محمد :" **الخامات البيئية ودورها فى تنمية الرؤية الجمالية لدى الطفل** ، مجلة بحوث فى التربية الفنية ، المؤتمر العلمي الثامن ، التربية الفنية وتنمية الطفل العربي ، كلية التربية الفنية ،جامعة حلوان ، ٢٠٠٢، ص ٣٥٨.

هذا الجمال وتحليل القيم الشكلية و اللونية و الوصول إلى قوانينها يزيد من استمتاعنا و ينمى التعبير الفني النحتي .

كما أن الاختلاف فى الرؤية الفنية للبيئة و الطبيعة بين الفنانين المصريين ،قدم لنا عدد من الاتجاهات و الأساليب الفنية للنحت المصري خلال القرن العشرين من الممكن أن تفيد في مجال التربية الفنية .

أي إن دراسة اتجاهات النحت المصري المعاصر يمكن أن تقدم خبرات فنية وتربوية يمكن أن تثرى وتفيد في مجال تدريس مادة النحت بكليات التربية الفنية ، حيث أنها تحتوى على مصادر رؤى فنية وتشكيلية تتميز بالحرية في طرق التعبير ،وتمثل خبرات يحتاج إليها معلم الفن الناشئ خلال فترة دراسته .

والباحث يرى أنه يمكن الاستفادة من دراسة اتجاهات النحت المصري الميداني فى مجال التربية الفنية، فى تنمية التعبير الفني لدى الطلاب فى مجال النحت وذلك :

١. فترة التعليم الجامعي بكليات التربية الفنية يقع الدارس لفن النحت فيها بين مشكلتين تؤرقانه ،فمن الناحية التعبيرية فإن قدراته التشكيلية تتعارض مع رغبته فى التعبير الفني ،واعتقاده السابق بأن الفن ما هو إلا محاكاة للطبيعة ، ومن الناحية النفسية يحتاج الطالب أن يعبر عن مكنونات أحاسيسه و مشاعره وانفعالاته النفسية التى لا يستطيع أن يعبر عنها للمجتمع حتى يحقق له التوازن النفسي و الاجتماعي ، وفى الفن الحديث بصفة عامة و فى النحت المعاصر المصري بصفة خاصة ظهرت حرية الفنان فى طرق التعبير و التشكيل ، فظهرت أساليب فنية متعددة نتيجة لخروج الفنان من نطاق الرؤية التقليدية للطبيعة ، كذلك تعددت طرق التناول لكل عنصر فى الطبيعة وفق الرؤية الفكرية و التشكيلية لكل فنان ،فأصبحت لدينا فى

ميادين مصر رصيد ضخم من الأعمال النحتية التي تثرى الخبرة الفنية وتنمى أساليب وطرق التعبير الفني في مجال النحت .

٢. تتميز العملية التعليمية لمادة التربية الفنية بحرية التعبير و التشكيل الفني المرتبط بشخصية وقدرات كل دارس للفن ،ولذا فهذه العملية تحتاج للتوجيه و التقويم ،وهما عمليتان تحتاجان إلى رؤى فنية وتربوية متعددة الاتجاهات ، وعملية التوجيه تحتاج إلى أن يكون معلم التربية الفنية لديه حصيلة وافرة من الخبرات فى الرؤى الفنية المتعددة ،واتجاهات النحت المصري المعاصر بما يجمع من أساليب متنوعة للفنانين فى رؤيتهم وتناولهم للطبيعة يمكن الاستعانة بها في تلك العملية التعليمية ، حيث يمكن توجيه كل طالب للأسلوب الذي يناسبه وطرق المعالجات التشكيلية التي تتناسب مع أسلوبه الفني .فتعدد الأعمال النحتية فى البيئة المحيطة بالطالب يمكن أن تصبح وسائل تعليمية مكتملة الخطوات و النتائج ،ومتنوعة الخبرات في التعامل مع الخامات وأساليب التشكيل ،وهذا بدوره ينمى التعبير الفني لدى الطلاب .

البيئة المصرية وأثرها على صياغة العمل النحتى : ـ

استفادة التربية الفنية بصفة عامة ،ومادة النحت بصفة خاصة من ذلك فى إثراء وتنمية التعبير الفني و التذوق الجمالي :

العلاقة بين الفنان و البيئة علاقة تبادلية ، فنرى البيئة تعطى للفنان كل المثيرات و الدوافع و المعلومات التي تساعد على إظهار القيم الإبداعية لديه ، ويعكس الفنان ذلك على البيئة بتهذيب وإعادة الصياغة لرؤية الأشكال المحيطة بالإنسان بما يتفق مع رؤيته و العصر الذي يعيش فيه .

و الفنان في أي بيئة من البيئات ، إنما يستمد أو يستوحي مصادر إلهامه ورموزه من طبيعة البيئة التي يعيش فيها وتكون له بمثابة الحافز و الدافع على الإبداع الفني فى التشكيل و التعبير ، بما تحويه من مثيرات ومؤثرات لمشاعره وأحاسيسه وغالبا ما يجيء الفن معبرا عن بيئته بظروفها وعناصرها ومؤثراتها ، محملا بنبضها ، وناطقا بملامحها ومميزاتها .

مفهوم البيئة:

بالرغم من تنوع البيئات وما تحويه من مظاهر وأشكال و أساليب حياة قديمة وحديثة ، فقد أضاف التطور الذي طرأ على الكون وعلى الإنسان رؤى جديدة للبيئة فأصبحت تشكل كل ما يحيط بالإنسان وما بداخله ، وما حوله من كائنات ، وساعدت التقنيات الحديثة فى الكشف عن كائنات كنا نجهل تواجدها فأصبحنا نتابع نموها وأطوارها داخل بيئتها ، فالبيئة لم تعد تقتصر على ما نراه من حولنا ونشعر به ونتلمسه بل أصبحت إضافة لما سبق هى كل ما نسمعه وتنقله لنا وسائل الإعلام و الاتصال من كل بقعة على سطح الأرض أو من باطنها ، أو من أعماق البحار ،وما تنقله لنا من الفضاء السحيق ، وهو ما جعل الإنسان يرى ويتابع كل تغير يطرأ على البيئة فى أي جزء من العالم ،وبرغم ذلك الأتساع و التنوع الذي نراه من حولنا ستظل البيئة " وحدة متكاملة فى تناسق رائع وترابط وثيق حسب قوانين ونظم سنها الخالق عز وجل لكي ينعم الإنسان بهذه البيئة ويتجنب أخطارها وأضرارها " [1] ،ويسعى لتطويرها و الحفاظ عليها و الارتقاء بها .وفى ذلك يقول البسيونى " الفرد لابد أن يكون له دور فى البيئة فيعمل على أعمارها وتنميتها وتطويرها و تنظيمها و تجميلها دون إغفال لطبيعة المكان و العناصر و المناسبة له "[٢] .

---

[1]ـ محمد عبد القادر الفقى : " **البيئة ،مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ١٤ .

[٢] محمود البسيونى :" **الشخصية الفنية ـ دراسة اجتماعية نفسية تربوية جمالية** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦، ص ٥٠.

البيئة المصرية :

" البيئة المصرية تتميز بالتنوع و التداخل و التكامل ، فأتساع الأراضي المصرية أدى إلى تعدد البيئات و تنوعها ، فنجد البيئة الزراعية على ضفاف النيل ، و البيئة الصحراوية فى صحارى مصر الواسعة ، ونشأت البيئة الساحلية لوجود البحار فى مصر ،وما يميز البيئة المصرية هو تداخل البيئات " [1]، كما أن لموقعها ومناخها و مظاهرها الطبيعية أثرا فعالا على ثقافة المجتمع المصري وتشكيل الحياة بالنسبة له من حيث ارتباطها بالتاريخ الحضاري العريق و بالجوانب الاجتماعية و النفسية ، وبالتالي فلقد زخرت البيئة المصرية بالتنوع الواضح فى الطرز المعمارية التاريخية مما أكسبها نمط خاص لا يتوفر فى كثير من البلدان الأخرى و التنوع هذا يعد ميزة جمالية تبعدنا عن الرتابة والنمط الجمالي الواحد و الرتيب .

ولتوضيح أثر البيئة المصرية على الفن المصري بصفة عامة و النحت المصري بصفة خاصة ، لابد من توضيح وبإيجاز البعد التاريخي و الثقافي و الإجتماعى للبيئة المصرية ،لما لهم من أثر واضح على الفن المصري :

البعد التاريخي للبيئة المصرية :

ما من شعب إلا ويعيش على اتصال وجداني بتراثه وتاريخه ، والذي يتشكل وفق الأحداث و المواقف الإنسانية على سطح الأرض ويشكل تاريخ ذلك المكان ،وتعطى لتلك البيئة القيمة التاريخية لها ، و البيئة المصرية شهدت حضارات عريقة على أرضها بدءا من العصور المصرية القديمة و القبطية و الإسلامية إلى العصر الحديث ، وتميز كل عصر منها بما أنتجه وأفرزه من عناصر وأشكال ظهرت فى مجالات شتى مثل العمارة ، الأثاث ،و الفنون .

---

[1]- حسن أحمد شحاتة :"**البيئة و المشكلة السكانية** ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥ .

البعد الثقافي للبيئة المصرية :

تتشكل ثقافة بيئة ما من أسلوب الحياة و الطريقة التى يسلكها أفراد تلك البيئة فى التعامل مع بعضهم البعض ، وطريقة تفاعلهم مع معطيات البيئة و العادات التى يسلكونها فى كافة المواقف ، " فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع ،ولا يقوم المجتمع ولا يبقى إلا بالثقافة ، وهناك صلة عضوية ترتبط ما بين البيئة الطبيعية و البيئة الثقافية ، فهما وحدة فى كل متكامل ، فالثقافة بالنسبة للبيئة كالشخصية بالنسبة للفرد "[(١)] ، و البيئة و الثقافة تؤثران فى تنشئة الفرد وتعمل على توجيهه سلوكيا وإكسابه عادات وأفكار المجتمع الذى يعيش فيه ونقل تراث أجداده إليه بالوسائل المختلفة ، لضمان و استقرار المجتمع وترابط أفراده وانتمائهم له.

البعد الاجتماعي للبيئة المصرية :

ينقسم المجتمع المصري إلى عدة بيئات وهى البيئة الريفية ، والبيئة الصحراوية ، البيئة الساحلية ،والبيئة الحضرية ،بخلاف تلك البيئات الأخرى والتي تأتى فى مرتبة أقل من حيث الكثافة السكانية ،مثل البيئة الصحراوية ، غير أن لكل بيئة نشاطها الإنساني المتميز وطابعها الخاص ، ويظهر الاختلاف فى أسلوب الحياة اليومية داخل كل بيئة من خلال العادات و التقاليد و الأشكال المادية و النظم الاجتماعية التى تنظم وتشكل أسلوب التعامل بين أفراد البيئة ،وتتضح أيضا فى كل ما ينتجه الفرد ويستخدمه فى حياته اليومية ، إلا أننا لا يمكننا أن نضع حدا فاصلا بين بيئة وأخرى وخاصة فى وقتنا الحاضر ، ويرجع ذلك لطبيعة العلاقات الاجتماعية ووحدة الثقافة في البيئة المصرية .

---

(١) منير المرسى سرحان : " فى اجتماعيات التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، ١٩٩٧، ص ١٣٣.

أثر البيئة بإختلاف أبعادها على الفن المصرى بصفة عامة :

أن البيئة من المثيرات الملهمة للفنان فى إنتاجه الفني ، وهى بحكم جغرافيتها ومناخها تترك أثرا فعالا على ملامح الإنتاج الفني ، وكذلك تترك أثرا على الفكر الذي يصنع هذا الفن .

فلذا يرى الباحث : أن الفن المصري بصفة عامة عبر تاريخه الطويل كان دائما نابعا من بيئتنا و احتياجاتنا ، معبرا عن طبيعتنا ، واعيا بقدسية هذه الأرض و بالقيم الأخلاقية الكبرى التي عبرت عنها الحضارات السابقة ،ومستشعرا في أعماق نفسه هذا الإيقاع الكوني العظيم ، وهذه الأناقة الحضارية البالغة الرقة ،والتي عبر عنها الفن المصري منذ فجر التاريخ .

ولقد أقترن الفن عبر العصور المصرية المختلفة بالبيئة الطبيعية ، وكذلك بالحياة الثقافية و الاجتماعية ، فالفن يعبر عن أسلوب الإنسان المصري فى تفاعله مع الحياة ، مما كان له أكبر الأثر فى إيجاد بعض السمات المميزة للفنون التشكيلية التي لها صفة الدوام و الاستمرار .

ففي الفن المصري القديم :

تأثر الفنان المصري القديم ببيئته وتفاعل مع ظروفها التي تميزت بالاستقرار و الهدوء ، مما أتاح له الفرصة للتأمل و التفكير في مظاهرها و التآلف معها ، كما تعايش مع الظواهر الطبيعية لها ، فأثمر هذا التفاعل الإيجابي مع البيئة فنا مصريا متميزا نشاهده في المعابد وما سجله الفنان المصري على جدرانها من نقوش ورسوم توضح قدرته ومهارته فى الأداء و التعبير عن أفكاره و معتقداته ورؤيته للبيئة ، بالإضافة إلى ما أنتجه من أدوات وأثاث وحلى وكل ما خلفه لنا من تراث فني بديع .

ولقد أثرت طبيعة مصر على فنانيها ، فلقد استفاد الفنان المصري القديم من الضوء وشدته وحركة الظل و النور عندما تنعكس على الأشكال و الأجسام ، ومنظر الجبال في مصر القديمة قد أوحى للفنان بمعاني الرفعة و السمو و الشموخ و القوة و الصمود .

كذلك كان لطبيعة المكان تأثيره على الحس الهندسي في الفن المصري القديم ، فمن خصائص البيئة الزراعية المنبسطة اعتمادها على التقسيم وتحديد الأرض فى أشكال هندسية ، كما أن الوادي المنبسط و الطبيعة المستوية التضاريس و الممتدة ، أوجدت لدى الفنان المصري القديم أسلوبه في التصميم القائم على استخدام الخطوط الأفقية و الرأسية ، واللجوء إلى التلخيص و التكثيف لعناصر الموضوع وتفاصيل العمل .ويوضح ذلك تمثال أبو الهول و الأهرامات بمنطقة الجيزة ، شكل (٣٣).

obeikandi.com

شكل (٣٣)

تمثال أبو الهول ،بالجيزة .

يوضح استفادة الفنان المصري القديم من الأرض المنبسطة والتي أوجدت للفنانين القدماء أسلوبا خاصا في التصميم أثمرت عن أعمالا تحمل معاني الرفعة و السمو و الشموخ و القوة و الصمود .

أما في الفن القبطي :

" فقد تعرض الفن القبطي إلى ظروف قهر أدت إلى التعبير عن القيم و المفاهيم الدينية و الاجتماعية بأسلوب رمزي ، إضافة إلى التبسيط في صياغة الفكرة و الاعتماد على الخط و التسطيح "[1] ، ويتميز الفن القبطي بخصائص الفن الشعبي التي تكسبه طابع الأصالة و الصدق في التعبير عن الشخصية الإنسانية ، والدليل على ذلك اختيار الفنان القبطي رموزه وعناصره الفنية من البيئة المحيطة به معبرا بها عن مشاعره ومعتقداته ،وتلك المفردات التي عبر بها فى كل ما أنتجه من فن تميزت بالقدرة على الاستمرارية لأصالتها ولارتباطها بالبيئة .

وهذا ما أكدته حكمت بركات بأنه " عندما انتشرت المسيحية ظهرت طرز فنية مسيحية متأثرة بالفن البيزنطي ، ومن أهم هذه الطرز الفن القبطي الذى نشأ فى مصر وتأثر بالتقاليد الشرقية ، ولقد تطور هذا الفن فى ظل المؤثرات البيئية المصرية التى نشأ فيها ، حيث أدت البيئة المصرية الهادئة بمناخها وجمالها إلى أحاسيس ساكنة تجلت فى بساطة الفن القبطي "[2] .

وفى الفن الأسلامى :

تفهم المصريون روح الإسلام فأعطوه من العلوم و الفنون ما يتواءم ويؤكد على عقيدة التوحيد ، ولقد ظهرت شخصية الفن الأسلامى متميزة عميقة الجذور مرتبطة بالأرض التي نشأ فيها ، معبرا عن الفكر الأسلامى و مراعيا طبيعة البيئة ومتفاعلا معها ومطالبا الإنسان أن يتفاعل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود .

" فقد أملت طبيعة البيئة المصرية على الفنان الأسلامى فى الشعور بالثراء الشكلي مع تصرف الفنان بالإضافة و الحذف و التجريد ، حيث انصهرت الأساليب الفنية القديمة فى بوتقة الإسلام لتنتج فى النهاية فنا

---

[1]- ليلى حسنى إبراهيم : "مناهج وطرق تدريس التربية الفنية ، حورس للطباعة و النشر ، القاهرة ،٢٠٠٠ ، ص ٧٢ .

[2] حكمت محمد بركات :" جماليات الفنون القبطية ، طبعة أولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٣٨ .

له طابعه المميز وخصائصه الواضحة ، فأتسم بشخصية ذاتية تتواءم مع الفكر الإسلامي بوجه عام كما تتواءم مع طبيعة البيئة و متطلبات المكان "[١] .

وتعددت جماليات الفن الأسلامى من خلال ثراء الملمس السطحي سواء فى العمائر وجدرانها و التحف و الأواني ،و الخطوط بتنوعاتها ، فالخطوط الهندسية المستقيمة التي تعبر عن الاستقرار و السكون و الخط اللين الذي يعطى الإحساس بالاستمرار و اللانهائية ، كما يتميز الفن الأسلامى بالقيم الإيقاعية و التي تتضح بصورة جلية فى فن " الأرابيسك " .

وفى العصر الحديث رأينا كثير من الفنانين التشكيليين الذين اشتهروا بقيمهم التعبيرية ،إنما استلهموا أسس موضوعاتهم من صميم حياة الشعب ، وحولوها إلى قيم تشكيلية .

فمثلا نجد أن محمود مختار (١٨٩١-١٩٣٤) صنع بتمثاله نهضة مصر رباطا بين الحاضر و الماضي ، لقد مثل الحاضر بالفلاحة المصرية التي من صميم بيئته بزيها الريفي المعروف الذي ميزها عن أية أمرآة من نساء المدينة لتمثل مصر ، وهى تحفز أبو الهول (ممثلا الماضي) على الحركة و النهوض .

أثر البيئة على النحت المصرى :

البيئة المصرية بما تتضمنه من خصائص جغرافية و مناخية ،كان لها أكبر الأثر فى الفن المصري عبر تاريخه و بخاصة فن النحت ، سواء كان هذا التأثير بصفة مباشرة أو غير مباشرة ،" فالعمل الفني التشكيلي عموما باعتباره ذلك النوع من الفنون الذي يتعامل مع الأشكال ،ينعكس عليه شكل البيئة الجغرافية انعكاسا مباشرا ، فمصر ذات الهضبتين المستويتين نسبيا ،و النهر المندفع برفق بغير شلالات و أو جنادل ، و الحقول المنبسطة الهندسية التخطيط ، ثم الصحراء الممتدة حولنا ، هذا

---

[١] إيناس أحمد عزت :" البيئة و التراث فى إنتاج المصورات المصريات ، ماجستير ،غير منشور ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ،٢٠٠٠، ص ٣٤ .

الشكل الجغرافي الفسيح ينعكس على شكل العمل الفني خاصة فن النحت فتتجه الأسطح إلى الانفتاح و الأتساع ،و الكتل إلى التماسك و البساطة ، مع النفور و النتوءات العالية و الظلال العميقة ، و البعد عن الفراغات "[1].

إن ارتباط فن النحت بالبيئة المصرية حفظ له سمات ومعالم شكلت القانون الهندسي للتمثال المصري القديم ، فهو يمثل فى استقامة النماء و الحياة ، ويتأثر فى أشكاله المكعبة بإمتداد الأرض الأفقي الفسيح حول حوض النيل ، وهو فى انبثاقه من وادي الزراعة ينطوي على حس داخلي يفيض بالأمن و السكينة ، ويمثل ائتلاف الحياة مع الحجر ،ونبض الشباب الدائم فى تجدده ، وتستعير ملامحه من الطبيعة ..،ووضوحها وخطوطها المحددة ، كما يفرض التمثال المصري وجوده على المكان في إدراك للاتزان و النظام و الهندسة ، و كلها من مشخصات كيان الوادي "[٢].

كما أن للخامات التى وفرتها البيئة ، أكبر الأثر فى النحت المصري عبر تاريخه الطويل ، فقد وجد الفنان المصري أمامه الأحجار بأنواعها وبخاصة الجرانيت و المتوفر بكثرة فى محاجر أسوان ، و الحجر الجيري ،وكذلك الأخشاب بأنواعها ،وقد تفاعل الفنان المصري مع هذه الخامات وتآلف معها فاستأنسها وخضعت له ،فطوعها وأعطت له أسرارها فشكل من خلالها أعمالا نحتية خالدة لا مثيل لها قديما و حديثا .

ووفق ما سبق فإن العمل النحتي الميداني بوصفه نتيجة للنشاط الإنساني – المتمثل فى النحات المبدع له – فإنه ليس بمعزل عن البيئة منذ بزوغه فى مخيلة النحات مرورا بالاختبارات التجريبية لاختيار الشكل و الخامة الملائمة له وتحديد الحجم المناسب للشكل بالإضافة

---

[1]– صبحى إسحاق الشارونى :" النحت الصرحى و التماثيل الصغيرة فى الفن المصرى الحديث " ، دكتوراه غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ١٥١.

[٢] الدين أبو غازى :" الطابع القومى لفنوننا المعاصرة ، رحلة النحت فى مصر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ١٠٣.

إلى دراسة العلاقة بين العمل كفكرة فنية ومدى ملاءمته للبيئة الاجتماعية وكذا البيئة المكانية المحددة لموقع العمل النحتي فى علاقته بما يحيطه من عناصر طبيعية كالضوء و المناخ و الفراغ ، أو عناصر حضارية كأشكال العمارة و تنظيم المساحات الفراغية ، كل ذلك بهدف الوصول إلى أقصى فاعلية لتأثير العمل النحتي الميداني بجميع عناصره التشكيلية فى علاقته بالمحيط البيئي من خلال الهدف الفني الذى انشىء من أجله .

أثر البيئة على الأعمال النحتية فى الهواء الطلق فى مدينة أسوان :

مدينة أسوان تعتبر من المدن البكر الموجودة على أرض مصر حيث الطبيعة الساحرة و المناخ الجيد و التراث الحضاري العريض وما خلفه من آثار عبر الأزمنة المختلفة ، لذلك يعتبر الفنانين المنفذين للأعمال النحتية فى الهواء الطلق بمدينة أسوان (ومعظمهم من المشاركين فى سمبوزيوم أسوان للدولي للنحت فى دوراته المختلفة)، أن وجود أعمالهم النحتية بجوار الأعمال العظيمة التى خلفها المصري القديم من منحوتات ، وعمارة وغيرها من الفنون شيء مهم في تاريخهم .

وهذه المثيرات البيئية بمدينة أسوان كان لها عظيم الأثر على تلك الأعمال النحتية ، فنجد أن كل فنان من هؤلاء الفنانين مع اختلاف جنسياتهم وتعدد ثقافاتهم و تنوع أساليبهم يختار من تلك المثيرات ما يلائمه ، ويناسبه لتطوير أفكاره لا لتغييرها ، فالمكان هناك يضيف للفنان المبدع فيطور و يجدد فى أسلوب تناوله للأشياء و معالجته لها ، ويؤكد ذلك "جون ديوى " بقوله[1] " أن الرؤية الفنية هي استجابة انفعالية من الفنان للمؤثرات من حوله "[2].أما التأثر بالمكان فينتج من خلال دينامية التفاعل بين الفنان وما يحيط به من مثيرات تتجسد فى النهاية بعمل فني يحمل بين جنباته محصلة هذا التفاعل ثم يشغل حيزا ما من الفراغ داخل المكان فيضيف إليه بعد آخر .

---

[1]- محمود البسيونى :" العملية الإبتكارية ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ٦٦ .

"وفى الإبداع فى مجال الفن التشكيلي عموما لابد من الاعتراف بشخصية المبدع و بإسيعابه التراث ، وبرؤيته الطبيعة ،وباستلهام وجهة النظر المعاصرة ، ومن خلال هذه العوامل يولد الإلهام بالجديد الذى له ماضي ويحمل الخبرة وفى نفس الوقت فيه شيء من شخصيات الآخرين ولكن يحمل سيطرة شخصية الفنان ،و الماضي فيه يعاد ترجمته فى ضوء فهم مباشر للطبيعة التى هى مصدر الوحي الأصلي للفنان "[1] .فقد يتأثر الفنان ببعض الأشياء ، وقد لا يتأثر ، تبعا لما يشعر به و يكون في مجال إدراكه .

وهناك الكثير من الفنانين الذين نفذوا الأعمال النحتية الميدانية فى الهواء الطلق بمدينة أسوان ، سواء كانوا مصريين ، أو أجانب اتضح فى أعمالهم مدى تأثرهم بالعديد من المظاهر الطبيعية الموجودة في البيئة المحيطة (أسوان)، فمدينة أسوان مدينة سياحية بها يمر نهر النيل الخالد وما به من مراكب وسفن سياحية ، فنجد الفنان عصمت داوستاشى ينفذ عملا ميدانيا فى مدينة أسوان يسمى (السفينة الفرعونية) شكل (٢) ، يجمع بين الأصالة و الحداثة فى الشكل و التنفيذ و التقنيات الحديثة.

كما أن العديد من الأعمال الميدانية بمدينة أسوان ،تأثرت بالحضارة المصرية القديمة ،وبالنحت المصري القديم الذي يعد من الفنون الخالدة فى تاريخ الإنسانية منذ بدايتها ، ويرجع سر البقاء لهذا الفن ممتدا عبر الأزمنة المختلفة إلى استخدامه خامات قوية صلبة ضد الزمن كالجرانيت و الأحجار التي تشتهر بهم مدينة أسوان ، وهما نفس الخامات التى أستخدمها الفنان الحديث فى أعماله الميدانية النحتية فى أسوان .كما فى الشكل (٣٤).

وهناك من الفنانين من استخلص من عفوية الأشكال داخل البيئة الأسوانية الريفية (النوبية) و التي تحمل نقاءا بالغا في المشهد المكون لها ، حلول وصياغات تشكيلية تجمع بعض هذه الأشكال داخل تكوين

---

[1]– جون ديوى :" الفن خبرة ، ترجمة زكريا إبراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ .

جمعي نحتي متسق و متناغم ، مع إمكانية تغيير وضع هذه الأشكال داخل التكوين ، ليعطى مزيدا من الحرية و الحيوية ويؤكد هذا البعد الزمني داخل العمل النحتي ،ويعطى دلالة تعبيرية متميزة .كما في شكل (٤)،الذى يوضح مدى تأثر الفنان الألمانى بشكل العمارة و المنازل النوبية بأسوان ..

obeikandl.com

شكل (٣٤)

(الجعران)

سمبوزيوم النحت الدولي بأسوان ١٩٩٦.

تأثر الفنان برموز بعض المعتقدات المصرية القديمة .

- للفنان النرويجي : هوجو فرانك .
- أبعاد العمل : ٢٧٥×١٢٠×٥٠.
- مكان العمل :بالمتحف المفتوح بأسوان .
- الخامة : جرانيت وردى.